

التي قامت في مراکش واستولت على إفريقيا والاندلس . (والثالثة) دولة الموحدين التي اسقطتها وحلت محلها . وكل هذه قوات قامت ثم سقطت وذهبت سدى دوان ينفع بها بينما كانت امم الافرنج في اثناء ذلك تتكون وتجمع تحت سلطة امرائهم وروؤسائهم لينشؤا بعد ذلك امماً مستقلة مختلفة . ولم تكن تدري تلك الدول التي كانت تتراحم وتتخاذل على ابواب اوربا ان مستقبل الشرق والغرب والعالم كله كان يومئذ في ايديها

الفيلسوف اوغست كونت

(مؤسس الفلسفة الحسية وواضع ديانة الانسانية والعلم)

ترجمته وذكر مبادئه بمناسبة وفاة تلميذه وخلفه في رئاسة ديانة الانسانية في
الشهر الماضي في باريس

اذا ذكر نوابغ القرن التاسع عشر فان الفيلسوف اوغست كونت يذكر في مقدمتهم . وقد رأينا ان ننشر في هذا الجزء ترجمته وشيئاً من فلسفته بمناسبة وفاة تلميذه وخلفه بطرس لافيت « رئيس ديانة الانسانية » فنقول

﴿ ترجمته ﴾ ولد اوغست كونت في مونيبله (فرنسا) في سنة ١٧٩٨ وقد تلقى دروسه في مدرسة الرياضيات ولكنه لم يتمها فخرج وانصب على الدرس لنفسه . وكان في اثناء ذلك يرتزق من التدريس لانه كان فقيراً . ومن حسن حظه انه عرف في سنة ١٨١٩ سان سيمون الكاتب الفرنسي المشهور فانفق على الاشتغال بالعلم والياسة معاً . وكان سان سيمون محتاجاً اليه وهو محتاج الى سان سيمون لان سيمون كان ذا بصيرة في السياسة ولكنه كان قاصراً في العلم وكان اوغست كونت طويل الباع في العلم ولكنه قاصر في الامور السياسية . فكل احدهما نقص الآخر

الا ان كونت كان مطبوعاً على حب الاستقلال فلم يجد بداً من مفارقة سان سيمون الذي كان ينزل نفسه منه منزلة المتسلط الأمر . فاعتم فرصة لذلك . وهي ان كونت كتب الجزء الثالث من كتاب « مبادئ اهل الصناعة » واتفق مع سيمون على ان ينشره باسم مؤلفه . فذهب سيمون ونشره دون ان يذكر مؤلفه فكان ذلك عذر كونت في مفارقتها وبعد ذلك انصرف كونت الى التأليف والتدريس في منزله فكان نخبة الناس يقبلون على استماع خطبه العلمية . غير انه اصاب بعد ثلاث خطب بتعيج في الدماغ خيف عليه

الجنون منه فنقل الى احد المستشفيات واقام فيه ٧ اشهر بلا فائدة . وكانت له زوجة كريمة عاقلة فاعادته الى منزله ولبثت تداريه وتسكن اضطرابه باللطف والمجاملة حتى هدأ اضطرابه وعادت اليه قواه العقلية . وهنا لا بد ان يذكر القارئ رأى العلامة لمبروزو الايطالي الذي مقتضاه ان سبب نبوغ اعظم البشر خلل يطرأ على ادبعتهم وعقولهم فيرفعها عن عقول البشر الاعيادية . وبذلك يكون نوابع البشر الذين رفعوا الهيئة الاجتماعية انصاف مجانين . والعياذ بالله من هذا الرأي الغريب .

وبعد شفاء كونت بدأت مؤلفاته العظيمة التي كانت اساساً للعلم الحسي والسيولوجيا . فصارت له شهرة واسعة . الا ان اخلاقه الغربية كانت تبعد عنه كل انصاره . فانه كان يسيء في معاملة الجميع لرؤيته انهم لا يعطونه حقه ولا يقدرونه قدره . فمن ذلك انه كان يطلب التدريس في احدى المدارس الكبرى فلما خلت وظيفة كبيرة في مدرسة الرياضيات كتب الى اصدقائه في الاكاديمية كتاباً يطالبهم فيه بتلك الوظيفة كحق له وبعندهم لاعراضهم عنه ويطعن على مشاهير الرياضيين في عصره . فانتهى الامر برفض طلبه . ومن ذلك طعنه في احد كتبه على اراغو المشهور طعنًا جرح كبرياء اراغو الذي كان يومئذ في اوج الشهرة فسعى في عزله من وظيفة كانت له في مدرسة الرياضيات . وكان كلما تقدم في نشر مذهبه الفلسفي وازداد تحقُّقاً فيه واستيثاقاً من عظم عمله ازدادت اخلاقه شراسة وكبرياءً حتى لم يعد يقبل نصيحة ولا اشارة من احد . ولما رأّت زوجته ذلك علمت استحالة الاتفاق معه فانفصلت عنه بهدوء ولكنها بعد الانفصال بقيت تراسله .

ولما كانت سنة ١٨٤٥ بدأ كونت يطبق فلسفته على السياسة . اي بدأ يدخل في حيز الفعل والتجربة النظريات التي ذكرها في فلسفته . فادّى به هذا الامر الى امور غريبة سئد كرها في موضعها . ولذلك يقولون ان هذا العام كان بدء نزوله عن جبل العظمة العلمية ولما فقد كونت وظيفته الرسمية في مدارس الرياضيات فقد معها مورد رزقه ولكن بعض علماء انكلترا واغنيائها ارسوا اليه مالاً طائلاً مساعدة له لان الانكليز اعجبوا بهواهيه . فطلب كونت ان تكون هذه المساعدة سنوية فرفضوا فخاصهم كونت لرفضهم . فشرع حينئذ تليذه العلامة ليتره المشهور في جمع مال طائل لاستاذة على سبيل الاكتتاب ليجعل له منه دخلاً سنوياً فاستمر ذلك اربع سنوات ولكن كونت رأى ان تليذه ليتره لم يكن مطيعاً له الى الحد الذي يريده فخاصمه ايضاً وتولى هو نفسه رئاسة الاككتاب . . .

وقد كانت وفاة كونت بسرطان في معدته فجزع عليه تلامذته . ولا يزال بيته في

باريز (هيكلاً) يبيح اليه تلامذته من جميع اقطار العالم
 * مؤلفاته وطريقة تأليفه * كان يكون في التأليف طريقة لم تكن لسواه بين
 جميع المؤلفين . فانه منذ شرع في كتابة مذهبه الفلسفي انقطع عن كل درس ولم يعد
 يقرأ كتاباً واحداً من المؤلفين . وسبب ذلك انه قصد ان لا يكون لاحد تأثير على
 افكاره . ولقد كان ذلك حسناً قبل افراغه جعبته في مؤلفاته . ولكنه بعد افراغه جعبته
 جرّه الى الامور الصبائية التي سندكرها في ترجمته لانه فصله عن عالم العلم وجعله يتهور في
 التعاليم الرمزية التي مزج فيها الدين بالفلسفة . ومها يكن في هذا الامر فانه كان دليلاً
 غريباً على عظيم ثقته بنفسه

اما كيفية كتابته مؤلفاته فانها كانت كما يلي . كان يفكر اولاً في الموضوع وينشئ
 في ذهنه جميع اجزائه وتفاصيله . ومتى فرغ منها كلها كان يقول ان كتابه قد تم . وحينئذ
 يتناول القلم ويبدأ بالكتابة بسرعة غريبة ثم يرسل الاوراق التي يكتبها الى المطبعة دون
 مراجعتها . وبعد ترتيب حروفها لا يسمح اغلاطها المطبعة الا مرة واحدة . وعند تصحيحها
 لا يغير شيئاً في كلامه

واما مؤلفاته فاهمها كلها « دروس في الفلسفة الحسية » وهو ستة اجزاء فيها كل
 فلسفته « واقوال فلسفية في العلم والعلماء » (واقوال في السلطة الروحية الجديدة) (وكتاب
 في مبادئ الهندسة) (وكتاب فلسفي في علم الهيئة العامي) (وكلام عن مجمل الفلسفة
 الحسية) وهو كتاب اختصر فيه فلسفته (ومذهب الفلسفة الحسية السياسي) وهو اربعة
 اجزاء وقد دعاها ايضاً : كتاباً في السيولوجيا يبحث في ديانة الانسانية (وكتاب مبادئ
 التعليم في الفلسفة الحسية) وهو في (ديانة الانسانية) يقابل (كتاب مبادئ التعليم
 المسيحي) للاولاد في الديانة المسيحية او اصول الشرع والقرآن الاولى في الديانة الاسلامية .
 ومنها كتب اخرى

* مذهبه الفلسفي * وقبل ان نذكر شيئاً عن مذهب اوغست كونت الفلسفي
 نقسم اعمال هذا الفيلسوف الى قسمين : قسم كان عظيماً جليلاً لما كان له من التأثير على
 الحركة العلمية والسياسية في اوربا منذ ذلك الزمن الى اليوم . وقسم كان صغيراً - ومع
 احترامنا لتذكار الفيلسوف فاننا نقول انه كان مفتحاً . وقبل الوصول الى القسم الثاني
 نشرح القسم الاول

لما قام كونت ورأى الفلسفة مبنية على النظريات والمجادلات العقيمة عدل عن هذه

الطريق وقام يدعو الى تاييس الفلسفة على الامور المحسوسة . فقال اننا لا نبنى فلسفتنا الا على ما نعرفه معرفة تامة . ولذلك لا نعرف للفلسفة اساسا غير (الرياضيات وعلم الفلك والطبيعات والكيمياء والبيولوجيا والسيولوجيا)

وكان مراده بذلك صرف افكار الفلاسفة عن البحث في (علة العلل وسبب الاسباب) لادخال العلم في دور (النفع) للبشر . وان قيل ان ذلك يضع حدا للعلم ويجعله مقيدا فكيف يكون يجب عن ذلك بان فلسفته لا غرض لها غير (نفع الناس) بترقية الانسانية اما معرفة مبداء العالم ومصيره فمن العبث الاشتغال به بقوانا العقلية . فبدلاً من ان تضع الفلسفة وقتها الثمين في البحث في هذه المسائل يجب ان تخلص قواها في درس الامور المحسوسة واستخدام العناصر الطبيعية لنفع الانسانية اذ لا شيء حقيقي غير الانسانية

وهو يرى ان الانسانية قد آت لها ان تصل الى هذا الغرض وان فلسفته هذه دور من ادوارها . وايضاحاً لذلك يقول ان كل هيئة اجتماعية لها ثلاثة ادوار الاول دور الطفولية وهو الدور الذي تظن فيه نفسها محكومة بقوات غير منظورة كالآلهة والارواح والثاني دور الشباب وهو الدور الذي تكون فيه منصرفة الى ما وراء الطبيعة والعقل والحس والثالث الدور الحسي وهو دور الرجولية . بل ان الانسان نفسه يتقلب في عمره بين ادوار كهذه الادوار فانه في صباه يكون في الدور الاول وفي شبابه في الدور الثاني وفي كهولته في الثالث .

واعظم اكتشافات كونت في هذه الفلسفة اثباته الترتيب والعلاقة بين العلوم الطبيعية . قال الميسوروسين الذي نعتمد عليه في تلخيص هذا المذهب : ان الرياضيات قد وضعت اصولها منذ نشأتها في القرون الماضية وقد خطط كبلر وغاليله طريق علم الهيئة (الفلك) وخطط باكون وديكارت طريق الطبيعيات ولافاوزيه طريق الكيمياء وبوفون وكوفيه ولينه وجفروى سانت هيلير طريق البيولوجيا . واما اوغوست كونت فانه وضع اساس السيولوجيا (علم العمران) ورفعها الى مقام العلوم الطبيعية الثابتة . وذلك باكتشافه ما بين العلوم الطبيعية من الترتيب اي لزوم بعضها عن بعض لانها تنشا عنها واثباته انها كلها تنتهي الى غرض واحد وهو خدمة علم السيولوجيا لترقية العمران في الارض وتحسين حالة الانسانية

وبناء على ذلك يكون اساس فلسفة كونت علم السيولوجيا اي علم اصلاح شأن البشر . وهو الذي وضع هذه الكلمة (السيولوجيا) واودع فيها المعنى المصطلح عليه اليوم .

وتوصلاً الى ذلك الغرض جعلهم ايجاد (سلطة روحية) جديدة ليقترنها بالسلطة السياسية ويعهد اليها تدبير شؤون البشر . وهو يرى ان الكنيسة المسيحية قد صنعت صنعاً بدعياً يجمعها بين السلطة السياسية والسلطة الروحية في شخص واحد يتولى ادارة الامة . ولكنها بما انها فصلت بين العقل وبين الطبيعة في تلك السلطة فقد ادخلت بذلك في جوفها جرائم الضعف والانحلال . وهذا الانحلال والانقسام لم يلبث ان ظهر بقيام المذاهب الفلسفية والمذهب البروتستنتي . فالمطلوب لتدبير شؤون البشر تدبيراً محكماً اقامة سلطة روحية توافق السلطات السياسية والامور الطبيعية . وليس هنالك سلطة روحية قوية غير سلطة العلماء . اذاً يجب ان تثار لف لجنة من العلماء في كل الامم ليتولوا حكومة البشر بالروح وبالسياسة حكومة مبنية على الواجب . ويكون شعارهم هذه الكلمات « محبة الناس لانها واجبة » .

وحفظ النظام والامن لانهما اساس الاجتماع . وتمهيد سبيل المدنية لانها غرض الانسانية .

❖ مذهبه الديني ❖ واليك القسم الثاني من مذهب كونت الذي اشرنا اليه في ما تقدم سمي كونت الانسانية (الذات الاعظم) واوجب في اكرامها ترقية شؤونها لا عبادتها . وسمى دينه الجديد (ديانة الانسانية) وهو يوجب الصلاة لالها واسطة لطاب شيء الانسان بل لانها عبارة عن اشتراك وتآمر في مصدر الكمال . ومن قوله : انما الصلاة حب وفكر اذا كانت بالروح والفكر فقط . ولكنها اذا كانت بالكلام ايضاً فهي حب وفكر وفعل . فكأنما الصلاة عبارة عن نموذج للحياة . وكأنما الحياة صلاة دائمة

ومعبد الانسانية يجب ان يقام في وسط حرش مقدس يجتمع فيه المؤمنون . وتكون فيه العبادة عمومية . ويوضع في صدره تمثال للانسانية يمثل امرأة تحمل طفلاً . وتحفظ غرفة في المعبد بالنساء اللواتي امتزن في حياتهن باعمال جليلة و ١٣ غرفة تحوى تماثيل ١٣ رجلاً وهم « موسى وهوميروس وارسطو وارخميدس وقيصر والقديس بولس وشارلمان ودانت وغوتبرج وشكسبير وديكارت وفرديريك الثاني وبيشات » . وقد غير كونت حساب الاشهر فجعل السنة ١٣ شهراً وسمى كل شهر باسم واحد من هؤلاء المشاهير وجعل في كل يوم من ايام السنة عيد رجل من التدين افادوا البشر . اما تعاليم هذا الدين الجديد الغريب فهي ترجع الى مبدء واحد وهو (ان يحب الانسان الناس ويعيش من اجلهم) لانه جزء وهم كل . وبذلك وضع كونت اصول الآداب والفضائل فوق اصول العمران (السبولوجيا)

ومن مبادئ هذا المذهب نقديس النساء لان المرأة في رأي كونت اطهر مخلوقات

الانسانية . وهي الرباط الحلي الذي يربط الانسان بالهيئة الاجتماعية سواء كانت زوجة او امّا او ابنة . وقد وضع هذا الفيلسوف الغريب الاخلاق عبادة مخنضة بالنساء . ووضع مذهبه تحت حماية (القديسة كلوتيلدا) وكلوتيلدا هذه اسم امرأة عرفها كونت في سنة ١٨٤٥ واحبها حباً شديداً مع انه كان في السابعة والاربعين من عمره . . وهي تدعى كلوتيلدا ديفو فمن كل ذلك يظهر ان هذا الفيلسوف مزج فلسفته بكثير من الامور الصبائية . على ان الفلاسفة ينظرون الى مذهبه التلنسي لا الى مذهبه الديني . ويقولون عنه انه كان فيه شخصان : شخص عظيم وضع في الرياضيات والطبيعات والسيولوجيا كتباً في غاية الاهمية حولت مجرى افكار البشر في الارض . وشخص وضع ذلك المذهب الديني بعد فراغ جعبته العلمية فصفر به نفسه

﴿ خلفه الذي توفي اخيراً ﴾ وقد اشتغلت جرائد اوربا منذ مدة بذكر كونت وفلسفته مرتين . الاولى حين اقامة تمثال له منذ بضعة اشهر . وقد خطب الجنرال اندري وزير الحرب في فرنسا في تلك الحفلة لانه من انصار الفلسفة الحسية . والمرة الثانية حين وفاة بطرس لافيت تلميذ كونت و (رئيس ديانة الانسانية) بعده . وقد احتفل بجنائزه في ٢ موسى وهو يوم قورش (اي في اليوم الثاني من الشهر المسمى موسى والمخصص بقورش ملك فارس القديم) فجاء بالجنحة الى (الميكل) وهو البيت الذي توفي كونت فيه . وكان هذا البيت مزيناً بالرايات المختلفة دلالة على اشتراك الانسانية كلها في تشييع واحد منها . وكان العلم العثماني في جملة ما . وبعد عرضها حملت الى المدفن حيث ابنته بعض اكابر العلماء في جملةهم المسيو اناطول فرانس احد اعضاء الاكاديمية وخطيب اسود وهو وكيل هابتي السياسي في باريز كان ينوب عن الجنس الاسود في هذه الجنائزة

وقد ابنت الجرائد المسيو لافيت خلف استاذ كونت فقالت انه تصرف بمبادىء استاذة تصرفاً نبذ منها الامور الصغيرة وادخل فيها البشاشة واللفظ فزاد في قوتها وانتشارها . وكتب المسيو غاستون ديشان المنتقد المشهور مقالة طويلة في جريدة الطان قال فيها ان جميع الملوء لفين الذين قاموا بعد كونت قد استمدوا من مؤلفاته وآرائه في اوربا كلها حتى رنان وتين . ولذلك تجدد الكتب والروايات مملوءة من روحه . وهذه المقالة طويلة لاملح لتخصيصها وانما نذكر منها غرض كونت كما صورّه هذا الكاتب . قال : كان غرضه مداواة داء العصر بوضع النظام العقلي والادبي مكان التوضي الاشتراكية . وانشاء سلطة روحية جديدة توفق بين عناصر الامة وتوحد التعليم في مدارسها لتوحيد كلمتها . ومصالحة العقل والقلب . والعلم والحب .

التي فرقتهما حالة العصر. واقامة دين بابه مفتوح لكل جديد ومع ذلك حافظ للتقليد . ويكون مستمداً تعاليمه من حالة الاجتماع وغرضه ان ينال من الناس الاجماع

❖ **الفائدة** ❖ هذا ماراً ينشره بشأن اوغست كونت . وقد بقيت امور كثيرة لم نذكرها رغبة في الاختصار منها ارساله الى نقولا الاول امبراطور روسيا كتاباً يقترح عليه فيه ان يوحد امم اوربا ويقبض على سلطتها السياسية ويعطيه سلطتها الروحية . رغبني عن البيان ان هذا الكتاب بقي بلا جواب . ومنها تفصيل تاريخ انتشار مذهب كونت الديني والفلسفي في فرنسا وانكلترا واسوج والبرازيل حيث ادخله بنجامين كونستان وذكر جمعياته ومجلته التي تطبع في باريز وعنوانها « المجلة الغربية » ولكننا نلتزم الاختصار لضيق المقام ونختتم هذا البحث بذكر الفائدة التي تجتمع عنه وتؤخذ منه بقطع النظر عن الامور الصغيرة التي فيه كترك الذكوة الآلهية التي تحيي نفوس البشر وتقليد العبادات المادية

وهذه الفائدة هي تقديس الانسانية واحترام شخص الانسان احتراماً مطلقاً . ويدخل في ذلك مبداء هو اسمي المبادئ التي وضعها البشر نفي مبداء « كراهة سنك الدم البشري » الذي يقال فيه انه المبدأ العظيم الوحيد الذي تمتاز به المدنية الحديثة على جميع المدينيات القديمة . فقد كان دم الانسان في الزمن القديم رخيص الثمن وكان البشر عبارة عن انعام يُذبحون او يُحرقون بامر رؤسائهم لاصغر الاسباب سواء كانت دينية او سياسية . اما اليوم فقد صار الشخص مقدساً لانه جزء من الانسانية ولذلك صار هم البشر منصرفاً الى الاتفاق على تدبير الطرق السلمية ليحملوا بعضهم بعضاً ويعيشوا بعضهم مع بعض بالثقة ووثاق بعد ان علموا انه من الجنابة على الانسانية ومن المستحيل في شرعها استئثار بعضها بالحياة والارض دون بعض . ومن هنا نشأ ارتقاء حقيقي في حالة الانسانية . وهم يرجعون الفضل في هذا الارتقاء الى الفلسفة الكونية